ثالثا: المرض والتداوى

حرف التاء

- التداوي:

التَّدَاوي: طَلَبُ المريض دواءَهُ من المتخصصينَ في الطبّ والحكْمَة.

وقد حَثَّ النبيُّ ﷺ على التماس الدّواء.

عن ابن مسعود - رضي اللهُ عنه - قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنّ اللهَ تعالى لم يُنْزلْ داءً إلا أنْزَلَ له دَواءً». رواه ابن ماجه والنسائي

والتَّدَاوي عندَ الطبيب لا يَتَعارَضُ مع اللجُوء إلى اللّه تَعالى في طَلَب الشّفاء منه؛ لأنّه أخْذٌ بالأسْباب في تخفيف الآلام.

عن جابر أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «لكلّ داء دواءٌ فإنْ أصابَ الدَّاءَ الدواءُ بَرئَ بإذْن اللّه». رواه مسلم

وفي هذا دليلٌ على أنَّ النبيَّ ﷺ أسَّسَ الإسْلامَ علَى حضارة سامية تأخُذُ بكلّ سَبب إلى مُجْتمع السعَادة والقُوة.

وكان ﷺ يأمر بالرجوع إلى الحارث بن كَلْدَةَ طبيب العرب.

وفي اللغة: الدَّواءُ: ما يُتداوَى به ويعالَج، والجمعُ: أدويَة.

والتَّداوي: تناوُلُ الدواء ليعالجَ الداء.

حرف الدال

- الدواء:

كلُّ ما أخْرَجَتْهُ الأرْضُ يَحلُّ التَّداوي به إلا الخَبائثَ التي حرَّمَها اللّهُ ونَهَى عنها مثل:

(١) الخُمور: المُستَخْلَصة مما أخْرجَتْهُ الأرْضُ من أعناب وتُمور؛ لأنَّها لا تَشفي، بل تَضرُّ وتُهْلك.

عن أمّ سلمةَ - رضي اللهُ عنها - أنّ النبيَّ ﷺ قال: «إن اللهَ لم يَجعلْ شفاءكُم فيما حَرَّمَ عليكم». رواه البيهقي، وذكره ابن مسعود في البخاري

وعن أبي الدَّرْدَاء أن النبيَّ ﷺ قال: «إنَّ اللَّهَ أنْزَلَ الدّاءَ والدواءَ وجَعلَ لكلّ دَاء دواءً، فَتَدَاوَوْا، ولا تَتَدَاوَوْا بحَرام». رواه أبو داود

والإسلامُ يَتَقَبَّلُ كُلَّ علاج شاف حديث ابْتَكرَتْهُ الحضارةُ الحديثةُ، كالنَّظائر المُشعَّة والعلاج بالليزر والمناظير، وغير ذلك.

(٢) السُّموم: فإنَّها فتَّاكَةٌ قَاتلةٌ إلا ما عالَجَهُ الطّبُّ واستَخْلَصَ منْهُ الدَّواء.

عن أبي هريرَةَ - رضي اللهُ عنه - قال: «نَهَى الرسولُ ﷺ عن الدَّواء الخَبيث «يعني السُّم».

والنبيُّ ﷺ نأخُذُ من هَدْيه إرشادات يُقرُّها الطبُّ الحديثُ ويُعالجُ بها، ومن هذا على سبيل المثال:

(١) في الحُمَّى وشدَّة حرارَتها أمَرَ النَبيُّ ﷺ بصَبّ الماء البارد على جسم المريض.

عن أنس ـ رضي اللهُ عنه ـ أن الرسولُ ﷺ قال: «إذَا حُمَّ أحَدُكم فَلْيُرَشَّ عليه الماءُ الباردُ ثلاثَ لَيال من السَّحَر». أخرجه النسائي والحاكم

(٢) وفي مرض البَطْن وَصَفَ النبيُّ ﷺ عَسَلَ النَّحل للمريض. وفي حديث الشاكي من وجع بطن أخيه أنَّ النبيَّ ﷺ وصفَ لهُ العسلَ. والآن يَستعملُ الطبُّ الحديثُ العلاجَ بالعسل على نطاق واسع في أمراض المعدة والأمعاء والقلب والكبد والعيون والجهاز التنفّسيّ وغيرها . . وصدرَت في هذا كتبٌ علميةٌ عديدة، وبحوثٌ عالميّةٌ مختلفة.

(٣) وقد أوصى الرسولُ ﷺ باستعمال الحبَّة السوداء (حبّة البركة) في مختلف الأمراض.

قال ﷺ في حديثه الشريف المشهور: «عليكُم بالحبَّة السوداء؛ فإن فيها شفاءً من كلّ داء إلا السَّام».

(السّامُ: الموت)

والآن اكتشفَ الطبُّ الحديثُ أن (الحبةَ السوداء) تقوّي المناعةَ في جسم الإنسان، وبهذا تقاومُ الأمراضَ المختلفة.

وَمنَ الروَّاد الأوائل في علم الصَّيدلة والكيمياء جابرُ بنُ حيَّانَ الذي عالَجَ كثيراً منَ الأمراض بعقاقيره العُشْبيّة.

حرف العين

- العزلُ الصحي

هو إبْعَادُ الْمَرْضَى بأمْراض مُعْدِيَة عن الأصحَّاء؛ خَشيةَ انْتشار الأوْبئَة والأمراض. وقد سَبَقَت السُّنَّةُ النبَويَّةُ المطَهَّرةُ العصْرَ الحَديثَ في عَزْل المَرْضَى بأمْراض مُعدية عن الأصحّاء اتّقَاءَ انْتشَار الوَباء، وجاءتْ (بالحَجْر الصّحيّ) بمفْهُومه الحديث.

فقد نَهى الرسولُ ﷺ عن الخُروج من البلاد التي بها الطَّاعونُ، كما نَهى عن الدُّخول فيها.

عن أسامةَ بن زَيد أنّ النبيَّ ﷺ ذكرَ الطَّاعونَ فقال: «إذا وَقَعَ بأرْضٍ وأنْتُم بها فلا تَخْرُجُوا منها، وإذا وَقعَ بأرْض ولَسْتُم بها فَلا تَهْبطُوا عليها».

رواه الشيخان والترمذي

وقصةُ عمرَ بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ التي رواها مسلمٌ وأبو داودَ والتّرمذيُّ في طَاعُون الشام تَطْبيقٌ لمنهج الرسول ﷺ في العزل الصّحيّ النَّبَويّ، حينما كان الخليفةُ ذاهبا إلى الشام فمرَّ بقَرْية «عَمْواسَ» وأخْبرَ أنّ بها الطَّاعُونَ، فتوقّفَ الخليفةُ واستشارَ أصْحابَه، فمنهم من أيَّدَ الدُّخُولَ محتجّا بأنّ كلَّ شيء بأمْر الله ولا مفرَّ من قضاء الله، ومنهم مَنْ عارضَ مُحتَجّا بأنّ ذلك هلاكٌ ﴿**ولا تُلْقُوا بأيْديكُمْ إلَى التَّهْلُكَة**﴾ . . ثم أدْركَهم عبدُ الرحمن بنُ عوف الذي أيّدَ البُعْدَ عن البلد، وذكرَ الحديثَ الشريفَ السَّابق، فابتَعَدَ الخليفةُ عنها، ولم يَدخل.

وعن المجْذومينَ يَرْوي أبو هريرةَ ـ رضي اللهُ عنه ـ قولَ رسول الله ﷺ: «فِرَّ من المجْذُوم فرارَكَ منَ الأسَد». رواه البخاري

وإليك حديثًا عامًا يأمُرُ بالبعد عن المرضَى بأمراض معْدية، ويَنْهَى عن الاختلاط بهم.

عن أبي هريرَةَ ـ رضي اللهُ عنه ـ أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «لا يُوردَنّ مُمْرِضٌ على مُصحّ». رواه أحمد وأبو داود

وفي اللغة: عَزَلَهُ عَزْلاً: أبْعَدَهُ، ونَحَّاهُ. يقال: عَزَلَ المرضَى عن الأصحّاء: أنْزَلَهُم في مكان منْعزل اتّقاءَ العَدْوى. والمَعْزِلُ: مكانٌ يُعْزَلُ فيه المَرْضَى عن الأصحّاء اتّقاءَ العدوى.

- عيادة المريض

عيادَةُ المريض: هيَ زيارَتُه أثْناءَ مَرضه، وهي من حَقّ المُسْلم على المُسْلم تأكيدًا لأواصر المحَبَّة وتَوْثيقًا لعُرَى الألْفة. وقد حثَّ عليها النبيُّ ﷺ.

وفيما رواه البخاريُّ عن أبي موسى ـ رضي اللهُ عنه ـ أن الرسولَ ﷺ قال: «عودوا المريضَ، وأطعموا الجائعَ، وفُكّوا العاني».

(العاني: الأسير)

وبيّنَ ﷺ حقوقَ المسلمينَ في حديث أبي هريرةَ «حَقُّ المسلم على المسلم خَمْسٌ: رَدُّ السَّلام، وعيادَةُ المريض، واتّباعُ الجنائز، وإجابَةُ الدَّعْوة، وتَشْميتُ العاطس». متفق عليه

وثوابُ زيارة المريض وضَّحَهُ النبيُّ ﷺ في حديثه.

فعن ثَوْبانَ قال ﷺ: «إنّ المسلمَ إذا عادَ أخاه لم يَزَلْ في خُرْفَة الجَنّة حتى يَرجعَ. قيل: يا رسولَ الله وما خُرْفَةُ الجنّة؟ قال: جَنَاها» أي ثمَارُها. رواه مسلم

ومن المأثُور عن النبيّ ﷺ أنَّه إذا عادَ مريضًا دعا له بالشفاء.

فعن عائشةَ ـ رضي اللهُ عنها ـ أنّ النبيَّ ﷺ كان يَعودُ بعضَ أهْله، يمسحُ بيده اليُمْنى ويقول: «اللهُمّ ربَّ النَّاس، أذْهِب البَاس، اشْفِه أنت الشَّافي، لاشفاءَ إلا شفَاؤك، شفاءً لا يُغادرُ سَقَمًا». متفق عليه

وبالزيارة والدُّعاء وتَمنّي الشفاء ترتاحُ نفس المريض، وترتَفعُ مُقاوَمتُه للمرض، فيَبرأ بإذن الله.

فَعَن ابن عباس ـ رضي اللهُ عنهما ـ أنّ النبيَّ ﷺ قال: «مَنْ عادَ مريضًا لم يَحضُرْ أجَلُه فقال عندَهُ سَبْعَ مرات: أسْألُ اللهَ العظيمَ أنْ يَشْفيَكَ، إلا عافَاهُ اللهُ منْ ذَلك المَرض». رواه أبو داود والترمذي

وفي اللغة: عَادَ المريضَ عَوْدًا وعيادَةً: زارَه.

عَادَ الطبيبُ المريضَ، فهو عائدٌ، والجمعُ عُوَّادٌ وعُوَّدٌ. وهن عَوَّدٌ وعَوائدُ.

حرف الميم

- المُداوي

المُدَاوي: هو الطبيبُ المتخصّصُ المرَخَّصُ له من جامعات عَصْره بمُزاوَلة مهنة الطّبّ، ويستحَبُّ أنْ يكونَ تقيّا، وهو خَيْرُ من يَلْجأ إليه المسلمُ المريضُ، يلتَمسُ عندَه الدّواء.

والأخذُ بالأسباب أمرٌ حَضاريٌّ مع التَّوكُّل على اللّه في النتيجة، وذلك منْ كمال إيمان المؤمن. وتعلُّمُ الطبّ فرضُ كفاية.

فإن لم يُوجَد الطبيبُ الحاذقُ بأن وُجدَ المُبْتَدئُ المُمَارسُ، أو وُجدَ الحاذقُ غيرُ المسلم جازَ للمريض المسلم أنْ يتَدَاوَى عنْدَه قياسًا على استئْمان الكافر على النَّفْس والمال إذا لم يوجَد المسلم.

ففي الصحيح أنّ النبيَّ ﷺ لما هاجَرَ من مكةَ إلى المدينة استأجَر رجُلا مُشْركًا هاديًا وائتمَنَهُ على نَفْسه وماله.

وكانت خُزَاعَةُ عَيْنًا لرسول الله ﷺ مسلمُهُم وكَافرُهُم. وقد رُويَ أنَّ النبيَّ ﷺ أمر بأن يُسْتَطَبَّ الحارثُ بنُ كلْدَةَ وكان كافرًا.

وفي حالة مرض المرأة المسلمة يَجُوزُ للطبيب المسلم علاجُها إذا لم تُوجدْ طبيبةٌ متخصّصةٌ في المرض نفسه. ويجوزُ للمرأة مداواةُ الرجل وذلك عندَ الضرورة؛ و«الضروراتُ تُبيحُ المْحظُورات»، كما لو شَبَّ حريقٌ في دار جار فللمُنْقذ أن يَحْملَ المرأةَ المغمى عليْها من دُخان الحريق وهي متَخَفّفَةٌ

الثياب، وإنقاذُ المرْء إحياءٌ له، وقد قال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ [المائدة: ٣٢]

وعن الرُّبَيع بنت مُعوّذ بن عفراءَ قالت: «كُنّا نَغْزو مع رسول الله ﷺ، نَسْقي القومَ ونخدمُهم، ونَرُدُّ القَتْلى إلى المدينة». رواه البخاري

وفي المسلمينَ السَّابقينَ رُوَّادٌ سبقوا العالَمَ في الطبّ والتَّداوي، مثل ابن النَّفيس وابن الهَيْثم وابن سيْنا وغيرهم. *(انظر: «علماء المسلمين»)*

- المرض

المَرَضُ: كُلُّ ما خَرجَ بالكائن الحَيّ عن حَدّ الصّحَّة والاعْتدال، منْ علَّة جَسَديَّة أو اضْطراب نَفْسيّ. والعلَلُ الجَسَديّةُ تحتاجُ إلى طبيب مُتخصّص في فروع الطّبّ المختلفة. والعللُ النَّفْسيَّةُ يلْزَمُها طبيبُ نَفْسيٌّ.

وقد أشارَ رسولُ الله ﷺ إلى علاج الجسم والنفس في حديث واحد.

فعن ابن مسعود أن النبيَّ ﷺ قال: «علَيكم بالشِّفاءَيْن: العسل والقرآن». رواه ابن ماجه والحاكم

ففي العسل شفاءٌ للنّاس بنَصّ القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٦٩]

وفي القرآن شفاءٌ للنفس. قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢]

وعندَ إحساس المرء بالمرض يَلجأ إلى اللّه يسألُه الشّفاء. قال تعالى على لسان نبيّه إبراهيم: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠]

ويأخذُ بالأسباب فيذهبُ إلى الطبيب يَلتَمسُ عندَه الدّواءَ.

وفي تَحَمُّل المريض لآلام المرض ثوابُ الله ورضوانُه.

فعن أبي هريرةَ ـ رضي اللهُ عنه ـ أن النبيَّ ﷺ قال: «ما يُصيبُ المسلمَ من نَصَب ولا وَصَب ولا هَمّ ولا حزَن ولا أذًى حتَّى الشَّوكَة يُشَاكُّها إلا كفَّرَ اللّهُ بها خَطَاياهُ». رواه البخاري ومسلم

النَّصَبُ: التَّعَبُ الجسماني من شدة العمل والإجهاد.

الوَصَبُ: التَّألُّمُ والتعب من المرض.

وفي اللغة: مَرِضَ مرَضًا: فَسَدت صحَّتُه، فهو مَريضٌ وَمرِضٌ، والمؤنث: مَريضَةٌ والجمع مَرْضَى، ومِراضٌ، ومَراضَى.

المُمرّضُ: مَنْ يقومُ بشئون المرضَى ويَقضي حاجاتهم تَبَعًا لإرْشاد الطبيب.